دراسة سوسيولوجية في شعر مصطفى جمال الدين

الدكتور نعيم عموري (الكاتب المسؤول)
أستاذ مشارك بجامعة شهيد تشمران أهواز- إيران
n.amouri@scu.ac.ir
الدكتور غلامرضا كريمي فرد
أستاذ مشارك بجامعة شهيد تشمران أهواز- إيران
رواء حامد علي
طالبة ماجستير- جامعة شهيد تشمران أهواز- إيران

Sociological poetry of Mustafa Jamal al-Din

Dr. Naeem Amouri (Responsible author)
Assistant Professor at Shahid Chamran University of Ahvaz , Iran
Dr. Gholamreza karimifard
Assistant Professor at Shahid Chamran University of Ahvaz , Iran
Rawaa Hamid Ali
MA student , Arabic Language and Literature , Shahid Chamran University of Ahvaz , Iran

الملخص:-

تميز الأدب العربي بأشكال متعددة من الصور الشعرية التي انتشرت في دواوين الشعراء القدماء منهم والمحدثين، فقد أثارت مواضيع الشعر العربي الإجتماعية حفيظة الشعراء، ومن هذا فقد استجد مصطلح يسمى (السوسيولوجية) وهو يهتم بقضايا المجتمع بشكل عام، وهذا المصطلح قد يبدو جديد العهد في منظور علم الإجتماع، بل هو جزء من هذا العلم، وفي العصر الحديث قد نال هذا المصطلح اهتمام الشعراء به، فكتب الكثير منهم عن القضايا الإجتماعية في قصائدهم، فالمرأة والحب، والعلم، والتجديد في الحوزة العلمية في النجف الأشرف، والطائفية والعنصرية، والشهيد، والهجرة، وغيرها هي من قضايا (السوسيولوجية) التي نادي بها شاعرنا وهو السيد مصطفى جمال الدين، كما ركز أيضا على العديد من القضايا الإجتماعية والسياسية في ديوانه، ومن هذا نجد أنّ الدراسة في مثل هذا الموضوع قد تعد جديدة على الساحة الأدبية، ومن خلال الدراسة (السوسيولوجية) في شعر مصطفى جمال الدين سوف يتبين لنا مقدرة الشاعر على الإهتمام بقضايا المجتمع، كونه يعد كاتباً وشاعراً وناقداً وأديباً قد ميزته أشعاره قبل سيرته العلمية والأدبية.

الكلمات المفتاحية: السوسيولوجية، شعر، مصطفى جمال الدين.

Abstract:-

Arab literature was characterized by many forms of poetic images that spread in the collections of ancient and modern poets. The social topics of Arab poetry made an impact to the poets inspiration. Therefore,Sociology, which is concerned with problems of society in general, has been introduced. Sociology considered new in the perspective of Sociology and a part of this science. In the modern era, this term has received the interest of poets, so many of them wrote about social issues in their poems. Women, love, science, and renewal in the scholarly seminary in Najaf, sectarianism and racism, and the martyr, and migration, and others, these are the sociological issues that our poet Mustafa Jamal al-Din talked about, and he also focused on many social and political issues in his collections. Hence, we find that studying such a topic may be considered new in literature. Through the sociological study, Mustafa Jamal al-Din 's poetry will be a kind of clarification of how the poet pays attention to community issues, as he is considered a writer, poet and literary critic whose work has distinguished him before his scientific and literary biography.

Key words: sociology, poetry, Mustafa Jamal al-Din.

المقدمـــة:

إن موضوع السوسيولوجية في شعر الشاعر والكاتب والأديب والفقيه العراقي المعاصر السيد مصطفى جمال الدين، الذي يعد من شعراء المدرسة الكلاسيكية، والمولود سنة ١٩٢٧م في قضاء سوق الشيوخ التابع إلى مدينة الناصرية وهي إحدي المدن العراقية الجنوبية، حيث عاش حياته الشعرية متنقلاً بين محافظات العراق منها النجف الأشرف وبغداد العاصمة وغيرها من المدن العراقية، وكان للشاعر ثقافة واسعة نحو الشعر العربي العام والفصيح، وأهتم بالبحور الشعرية وخاصةً البحر الخفيف الذي يتسع للجمل الشعرية الطويلة التي كانت تتناسب مع طبيعة قضايا المجتمع المعاصر له، فقد عاش الشاعر صراعات عديدة أكسبت شعرة نوع من الخصوصية وخاصةً الأتجاهات التي تشمل موقفة مع فقهاء المدارس الدينية في النجف الأشرف ومطالبتة بتطوير هذه المناهج.

وقد كان الشاعر يستثمر المناسبات التي يقام بها المدح والرثاء، فيبث بها قضايا الإجتماعية والدينية والسياسية والأدبية لكي تصل إلى انحاء العالم الإسلامي، فيبتعد عن موضوع المناسبة لعرض أفكاره فيطرح الظلم الذي يعاني منه الشعب العراقي من نظام صدام حسين الظالم، وكذلك الصراع بين المحافظة وتجديد في الآدب، وكذلك يتطرق إلى القضايا العربية والوطنية والقومية، كما ركز في أهتماماتة على الصراع الفلسطيني الصهيوني، ولم تختصر مواضيعه على ذلك فقط فقد توجه في شعره نحو المرأة والمسائل العاطفية وهذه ظاهرة تستحق التوقف عندها، ولإغتراب الشاعر عن بلده الأم نجد الأثر الواضح في شعره نحو الحنين إلى العراق، حيث توفي وهو في دمشق سنة ١٩٩٦م.

تعريف السوسيولوجية:

تعتبر السوسيولوجية مصطلح حديث أطلق على علم الإجتماع، ويعد من الدراسات الحديثة التي طرأت على المجتمعات الغربية والعربية، ولهذا فقد عرفها الكثير من رواد علم الإجتماع العرب والغرب.

فقد أوضح ذلك المفهوم "جورج زيمل" بقوله: ((العلم الذي يهتم بدراسة شبكة العلاقات والتفاعلات الاجتماعية التي تقع بين الأفراد والجماعات والمؤسسات على اختلاف أنواعها وأغراضها))[1].

ويرى "ريمون ارون" أحد المهتمين بعلم الاجتماع في فرنسا: ((أنّ علم الاجتماع يتميز بأنه دائم البحث عن نفسه، وان أكثر النقاط اتفاقا بين المشتغلين بها هي صعوبة تحديد علم الاجتماع))[٢]، ولكن يرى "لازارسفيلد" ((إن السوسيولوجية ليس لها موضوع دراسة محددة ودقيقة، ويعتقد مهمة السوسيولوجيا الرئيسية هي وضع التكتيك والطرق والأساليب للأبحاث التجريبية التي يمكن استخدامها في أي علم اجتماعي كالاقتصاد والحقوق وعلم السكان))[٣].

أما "أنتوني غيدنز" فيقول: ((إن علم الاجتماع معنى بدراسة الحياة الاجتماعية والجماعات والمجتمعات الإنسانية، انه مشروع مذهل و شديد التعقيد لأن موضوعه الأساسي هو سلوكنا ككائنات اجتماعية))[٤].

ويضيف)ابن خلدون(على هذا العلم عندما صرح قائلاً: ((فإنه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني وذو وسائل وهي بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته واحدة بعد الأخرى وهذا شأن كل علم من العلوم وضعيا كان أو عقليا))[٥]. وعلم الإجتماع عند)محمد الجوهري (:((علم الاجتماع هو الدراسة العلمية للعلاقات التي تقوم بين الناس ولما يترتب على هذه العلاقات من أثار))[٦].

هنا يتبلور في فكرنا تعريف خاص السوسيولوجية أو علم الإجتماع فنقول: هو علم يدرس قضايا الإنسان المجتمعية بعيداً عن الديانة والقومية والإنتمائية، كما هو يميز بين المجتمعات العربية والغربية في التعامل المجتمعي، ولكل مجتمع عادات وتقاليد يتحتم علية التأقلم مع ذلك المجتمع، فهو يوضح تلك السلوكيات الفردية في المجتمع.

السوسيولوجية في شعر مصطفى جمال الدين:

تميز شعر السيد مصطفى جمال الدين بالحداثة العصرية التي نادراً مايتمز بها شاعر معين، حيث واكب المشاكل المعاصرة للقضايا الإجتماعية، ومن أهم القضايا السوسيولوجية التي تناولها هي:

أولاً: التجديد في الحوزة العلمية:

أكد الشاعر مصطفى جمال الدين على موضوع التجديد الديني والفكري في الحوزة العلمية في النجف الأشرف، وأسلوب الدراسة في الجامعة النجفية، ومقرراتها، وحاجتها

لإدخال بعض المفردات المعاصرة في منهجها، وأخذها بأسباب التطور في إدارة شؤونها، بما تقتضيه ظروف العصرنة التي نعيشها، ((كانت من أهم ما يشغل المجددين من طلبة هذه الجامعة وأساتذتها، وباعتباري واحدة من الذين تخرجوا في هذه الجامعة، وأخلصوا لها، وحرصوا كل الحرص، على أن تظل (قاعدة إسلامية) للمرجعية الدينية، تم الأقطار المؤمنة بها، بخير الكوادر المسلحة بالفكر الإسلامي المتفتح، بحيث لا ينقصها شيء من متطلبات الموجه الديني المعاصر، فإني كنت احس بعمق الاهتزاز الذي تستبطنه مقررات هذه الجامعة الدينية، وجمودها، وعدم أخذها بأسباب التطور المطلوب، لذلك كان شغل الشاغل كشاعر يستطيع أن يوصل فكره للناس بأقرب وسيلة، واكثرها إثارة لحماس الذين يشعرون مثلي بهذا النقص والجمود، أو الذين هم على استعداد للشعور به، لذلك حشدت كل طاقتي وأنا أشارك بكثير من حفلاتها العامة، أن أثير هذا الموضوع، وبخاصة في الحفلات التي تعقد التكريم أحد مراجع الدين أو تأبينه.))[٧].

وفي أوائل الخمسينات شارك في حفلات تأبين أحد مراجع الدين العظام (الشيخ محمد رضا آل ياسين)[٨] بقصيدة نشرت مجلتي (البيان) النجفية، و(الألواح) اللبنانية تحدثت فيها عن تطور الدراسة في الجامعة الأزهرية وطلبت من مراجع الدين النظر بجدية التطوير الدراسة في الجامعة النجفية وكان مما قلته في ذلك:

هلا تكونون من مصر وأزهرها ... كما يكون من السلسال منبه

أم لا.. فنحن أناس عمرنا سفه ... إن لم نكن بـ (أتي زيد) نضيعه[٩]

ونجد الشاعر أحمد شوقي يمتدح الأزهر بقوله:

قم في فم الدنيا وحي الأزهرا ... وانثر على سمع الزمان الجواهرا

واجعل مكان الدر- إن فصلته ... في مدحه- خرز السماء النيرا[١٠]

وثارت ثائرة المحافظين على هذه الدعوة لتجديد مناهج الدراسة، واستغلت المقارنة بين النجف والأزهر، ذريعة للحملة على دعوته التجديدية، وقال في حفلة تكريمية لأحد المراجع العظام:

هذي المناهج أطمار مهلهلة ... مرت على نسجها الأحداث والعصر

وســـوف يـــأتي زمـــان لاتـــرون بهـــا إلا خيوطـــاً لهمـــس الـــريح تنتثـــر[١١]

وعن المحنة التي يعيشها الشباب الديني في النجف الأشرف، فقد خاطب الشيوخ في المجتمع الديني للاستماع لوجهة نظر الشباب، فقال في قصيدته التي كانت بعنوان:(صونوا مناهجكم تصونوا دينكم) وقد جاء فيها:

يـا قـوم حسـبكم الخمـول فقـد مضـى زمـــن بفطرتهـــا تشـــب الرضـــع
والعصـــر عصـــر لا يشـــب وليـــده إلا ليعجبـــــه الجفـــــن المبـــــدع
عصـــر المـــدارس.. عـــذبها وأجاجهـــا تـــبني العقـــول بمـــا يضـــر.. وينفـــع
الاعصـــر (كتـــاب) قصـــارى جهـــده صـــــف مباركـــــة، وأي ممتـــــع
صـــونوا منـــاهجكم نصـــونوا ديـــنكم وابنـــوا العقـــول يقـــم عليهـــا مجمـــع[١٢]

وفي قصيده الفتنة الكبرى سنة١٩٥٥ كانت من أشد هذه القصائد عنفا في النقد، ودعوة للتجديد، فقد استعرض فيها فقدان نظام القبول في الجامعة النجفية، لذلك كان بإمكان أي انتهازي يريد العيش باسم الدين، أن يعتمر العمامة، ويسيح في بلاد الله جابيا للحقوق الشرعية، وهو لا يعرف شيئا من الشرع ولا من حقوقه، وقال بعد هذا الاستعراض:

والفتنـــــة الكـــــبرى ومـــــن آياتهـــــا أن الـــــذي تنعـــــى العديـــــد الأوفـــــر
حـــتى لتعـــذر (ناقـــديك) إذا ادعـــوا عقـــم الطريـــق بمـــا أتيـــت (تبشـــر)
فالـــدين قـــد غرســـته قبلـــك (عصـــبة) المـــــال ديـــــن قلوبهـــــا والمنكـــــر
ومغـــــالط مـــــن راح يقنـــــع نفســـــه أن القتـــــاد إذا ســـــقاه يثمـــــر!!
والفتنـــــة الكـــــبرى بـــــأن معاشـــــرا (منـــا) تضـــيق بمـــا ادعيـــت فتنكـــر
حـــتى كأنـــك قلـــت: ديـــن محمـــد متفســـــخ، ونظامـــــه متـــــاخر[١٣]

وبهذا التراجع والاعتذار سلك في قصائده الأخرى التي كان فيها شديد القسوة في النقد لمناهج الدراسة، والشؤون الإدارية العامة لأتجنب الوقوع في خطا التفسير؟ فقال مخاطباً:

ياســـادةُ النجـــف المرمـــوق جانبـــه وحاشـــدي الخشـــب الموفـــور محتـــده

وحاضني العلم من ألف وما فتئت ... تجلو الظلام دراريه وخرده

ويامغذيه بالفصحى وما برحت ... للآن تعجمه الأخرى وتنهده[١٤]

ثم قال الشاعر معتذرا ومفسرا معنى اليسر والسهولة التي أردت أن تكون بديلا عن تعقيد هذه المناهج:

وإن يكن قد قسا شعري فمعذرة ... وإذ ربما ضاق عما كنت أقصده

عشتم بعصر مضى صحوا بأعينكم ... لم يحتجزكم، على جهل، معقده

وجيلنا عاش عصرا من سهولته ... أن يترك الماء، أو يصفو مبرده

فاسقوه نور الهدى فيما تعوده ... من الكؤوس.. وخلوا ما ينكده(١٥)

٢ـ الشعراء والمال:

اتخذ الكثير من الشعراء في العصر الجاهلية والإسلامية الشعر كوسيلة لإبتغاء المال من الملوك والأمراء، وهذه الصفة تتميز بموضوعها الإجتماعي كون الملوك يحبون بإمتداحهم من قبل الشعراء، وهذا يعتبر من الفضائل والمفاخرة بين الملوك والأمراء فيما بينهم، ولا يخفى أنّ الشعراء في العصر الإسلامي وخاصةً في العصر الأموي والعباسي كان لهم عطاء ثابت من ديوان الدولة لكل شاعر يمتدح الأمير، وهذا ما نجدة في هشام بن عبد الملك[١٦] عندما اراد الحج ولم يستطع من كثرة الناس، فبينما هو كذلك إذ أقبل على ابن الحسين عليه السلام فجعل يطوف فإذا بلغ موضع الحجر تنحى الناس حتى يستلمه هيبة له فقال شامي: من هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا اعرفه، لئلا يرغب فيه أهل الشام، فقال الفرزدق[١٧] وكان حاضرا: لكني انا اعرفه، فقال الشامي: من هو يا أبا فراس؟ فأنشأ قصيدة المشهورة في مدح الإمام زين العابدين عليه السلام وهي:

يا سائلي أين حل الجود والكرم ... عندي بيان إذا طلابه قدموا

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم

فغضب هشام ومنع جائزته وقال: ألا قلت فينا مثلها، قال: هات جدا كجده وأبا كأبيه واما كأمه حتى أقول فيكم مثلها، فحبسه بعسفان بين مكة والمدينة. فبلغ ذلك على بن

الحسين عليه السلام فبعث إليه باثني عشر ألف درهم وقال: اعذرنا يا أبا فراس فلو كان عندنا أكثر من هذا لوصلناك به. فردها وقال: يا ابن رسول الله ما قلت هذا الذي قلت إلا غضبا لله ولرسوله وما كنت لارزأ عليه شيئا، فردها إليه وقال: بحقي عليك لما قبلتها فقد رأى الله مكانك وعلم نيتك، فقبلها، فجعل الفرزدق يهجو هشاما وهو في الحبس، فكان مما هجاه به قوله:

أتحبسني بين المدينة والتي ... إليها قلوب الناس تهوى منيبها

تقلب رأسا لم يكن رأس سيد ... وعلينا له حولاء باد عيوبها[١٨]

يتبين لنا إن الملوك والخلفاء كانوا يريدون المدح والثناء من الشعراء وإلا يقطع عنهم العطاء كما مر مع الفرزدق.

نرى أن الشاعر مصطفى جمال الدين قد ذكر في بعض أشعاره حول شعراء المال في النجف الأشرف، حيث يؤخذ على الشعر النجفي غلبة شعر المناسبة عليه، والمناسبات في النجف هي السوق الرائجة لهذا الشعر، مثل مناسبة ذكرى المولد النبوي، ومواليد الأئمة، ووفياتهم، وتسنم أحد مراجع الدين لمنصبه، أو قدومه من حج أو سفر، أووفاته وقيام مرجع بتلك آخر، وأمثال ذلك من المناسبات الدينية العامة، وتنتهي المناسبات المدنية، والخاصة، كوفاة شاعر، أو زعيم، وسقوط وزارة، أو قيام حزب، أو تأسيس جمعية أدبية، أو تهنئة صديق بزواجه أو مولوده، وغير ذلك.

فيقول الشاعر مصطفى جمال الدين عن هذا الامر: ((أعترف من حيث المبدأ بهذا الواقع، واعترف أني شاركت بكثير من هذه المناسبات، بل ربما لم أكن أنشا وينشا غيري كما أشرت إلى ذلك سابقا هذه النشأة الشعرية، لولا هذه المناسبات الكثيرة التي كنا نتابعها، ونتزود بنتاجات كبار الشعراء فيها، وكانت هي الهم اليومي الذي تحمله أقدامنا الغضة، وقلوبنا المتفتحة. ولكن ما هو عيب المناسبة؟! أعتقد أن العيب ليس في أن تكون للشعر مناسباته، وهل يتصور أن يقال شعر من دون مناسبة؟ - خاصة أو عامة. وإنما العيب في المناسبة نفسها، وفي استغلال الشاعر لها، أو توظيفها لاهدافه"[١٩]. فيقول:

وبما تهدم من بقايا روحي ... يبني عزائم جيله ويعمر[٢٠]

((وإذا عدنا إلى المناسبات اليوم وجدناها - في الأكثر - تختلف تماما عن المناسبات الإرتزاقية التي كان يعيشها الشعر العربي في عصوره المختلفة، وفي (الديوان) قصائد قيلت في مناسبات، دينية أو غير دينية، ولكنها وظفت المناسبة للفكر الذي يحمله الشاعر، والموقف السياسي أو الاجتماعي الذي يلتزم به، تجد ذلك واضحا في قصائد قيلت في المولد النبوي، أو في الإمام علي او الحسين عليهما السلام، او في بعض مراجع الدين، وكان هم الشاعر فيها نقد الأوضاع القائمة - سياسية أو دينية - وفيها من الجرأة في نقد المجتمع الديني، ومناهج دراسته، وبعض مراجع الدين فيه، ما لا يمكن أن يصدر من رجل دين لا يزال يعتز بأنه واحد من هذا المجتمع.))[٢١].

فيقول مصطفى جمال الدين في هذا الموضوع: ((وعلى سبيل المثال أذكر أن الإمام كاشف الغطاء، حضر مؤتمرا إسلاميا عُقد في باكستان، يوم كانت باكستان والعراق عضوين في (حلف بغداد)، وقيل يومها إن هذا المؤتمر الإسلامي كان واحدة من نشاطات ذلك (الحلف)،فأقيمت حفلات متعددة في مدرسته الدينية ترحيبا بقدومه استمرت أسبوعا، ولم يكن في نيتي أن اشارك بهذا الترحيب، وإن كنت أجل الإمام كاشف الغطاء، وأرحب بمقدمه الكريم، ولكن ضغوطاً كثيرة - بعضها بإشارة منه رحمه الله - فرضت على المشاركة، فما كان مني، في اليوم الرابع، إلا أن وجهت للمؤتمر كل ما قيل في نقده، ولم أكتف بذلك، بل وجهت نقدي للإمام نفسه على مشاركته في هذا المؤتمر، وكان مما قلته في ختامها:

ابا حليم وهذي نفثة طفحت ... وددت قبل نثاها منك اعتذر))[٢٢]

وهذا يدل على إن الشاعر لم تكن تهمه قضية المال والعطاء في الشعر بينما كان بأمس الحاجة إلى المال مما كان يعاني من ظروف معيشية سيئة، ومن هذا نرى أن قضية الشعراء والمال باتت من القضايا الإجتماعية التي يمر بها وقتنا الحالي وبكثرة مما كان عليه الوضع الإجتماعي في العصور الجاهلية والإسلامية، ونرى أن هذا الأمر قد أصبح واضحاً لدى العامة من قول الشعر في السياسيين لأجل المال والسلطة كما نجده واضحا للعيان في عصرنا الحديث، فبات الشعر اليوم لبعض الشعراء وسيلة إجتماعية لكسب المال، والبعض يعتبرها مفخرة أو رزق يقوم به كل يوم لكسب قوت عياله.

٣ـ العلم والتعليم عند الشاعر مصطفى جمال الدين:

لم يخل ديوان السيد مصطفى جمال الدين من الأبيات التي تدعم العلم والتعليم، كونه من أسرة علمية، إضافةً إلى كونه حاصل على الدكتوراه من كلية الفقه، وأستاذ يحب العلم والتعليم، ولهذا فقد نجده يمجد في المعلم من خلال أشعارة فيقول:

ستبقى مع الاجيال مدرسه لها ... برامج في أجر المودة في القربى
تفرد فيها ابن المعلم منهجا ... فأفقر من جاف واغنى الذي ربى[٢٣]

وقد أكد الشاعر من خلال أشعاره على السعي لطلب العلم، وعدم اتخاذ الخمول غاية لإبعاد المجتمع من نعمه التعليم، فيقول:

ياقوم حسبكم الخمول فقد مضى ... زمن بفطرتها تشب الرضع
والعصر عصر لا يشب وليده ... الا ليعجبه المفت المبدع
عصر المدارس عذبها واجاجها ... تبني العقول بما يضر وينفع
العصر كتاب قصارى جهده ... صحف مباركه واي ممتع
صونو مناهجكم تصونو دينكم ... وابنو العقول يقم عليها المجتمع
فالدين ليس يربه ويسوسه ... شيخ بمحراب الدجى يتضرع
ولقد عهدنا الدين عند محمد ... سيفا بحالكه المنايا يلمع[٢٤]

في هذه القصيدة يؤكد الشاعر ويحث على التعليم من خلال المدارس كون من خلالها تبنى العقول أي تكول زاهرة بالعلم والمعرفة، ويؤكد أيضاً على تعلّم القرآن الكريم بقوله (صحف مباركة)، وينصح على صيانة المناهج التدريسية مع مراعاة صيانة والحفاظ على الدين، لأنّ التعليم ليس له وقت أو عمر محدد بقوله(شيخ بمحراب) الذي يسعى إلى العلم والتعلم مع الكبر، ثم يصف الدين والتعلم عند الرسول محمدﷺ واستعماله كسيف لمحاربة الجهل والجهاهلين. وله أيضا:

وهنا تفجر هادرا بشكاته ... قلبُ المعلَمِ يستجيش ويزفر
مَضتِ السنين نخب في حلباتها ... عجُلئ.. وشوطي بينها لا يفتر[٢٥]

وله في المعلم:

فمـــلأت مـــن كـــاد المعلـــم خـــاطري حـــتى تفـــايض كأســـي المتفجـــر[٢٦]

يمجد الشاعر مصطفى جمال الدين بالمعلم الذي هو يعد جزء منه كونه أستاذ في كلية الفقه في جامعة الكوفة، كما انه يبين في الأبيات السابقة معاناه المعلم من هفوات الحياة التي عاشها مع الجهل والتخلف الذي ملأ المجتمع، فقد صور الشاعر تلك السنوات التي تذهب من عمر المعلم حيث يصفى بالشواطئ.

٤ـ العنصرية:

كانت العنصرية والعصبية وراء معاداة الإسلام، فقد كان كبار اليهود متأكدين من رسالة الرسول ﷺ حسب ما جاء في كتبهم المقدّسة، إلاّ أنهم أصروا على معاداة الإسلام والكيد له انطلاقاً من الاستكبار والعصبية والعنصرية، فلم يتّبعوا النبي الذي بشرّت به كتبهم ((بعد أن انحصر كل الأنبياء المعروفين ضمن نطاق بني إسرائيل منذ عهد النبي إسحاق. وهذه الحالة المقيتة عاشها زعماء قريش والعرب في بداية الدعوة الإسلامية، فقد ورد عن أبي جهل الذي ترأس العداء للإسلام وعدم الإيمان بالرسول، فقال: والله إني لأعلم أن ما يقول أي النبي ﷺ حقّ، ولكنّ يمنعني شيء: إن بني قصي قالوا: فينا الحجابة فقلنا: نعم، ثم قالوا: فينا السقاية، فقلنا: نعم، ثم قالوا: فينا الندوة فقلنا: نعم، ثم قالوا: فينا اللواء، فقلنا: نعم، ثم اطعموا وأطعمنا حتى إذا تحاكّت الركب قالوا: منا نبي فلا والله لا أفعل))[٢٧].

في قلب العنصرية التي عاشها عنترة العبسي مع قبيلته فيقول:

خَـــدَمتُ أُناســـاً وَاتَّخَـــذتُ أَقـــارِب لِعَـــوني وَلَكِـــن أَصـــبَحوا كَالعَقـــارِبِ

يُنـــادونَني في السِـــلمِ يـــا اِبـــنَ زَبيبَـــةٍ وَعِنـدَ صِـدامِ الخَيـلِ يـا اِبـنَ الأَطايِـبِ[٢٨]

إنّ الشاعر مصطفى جمال الدين قد ركز على القضية الطائفية والعنصرية في شعرة بشكل ملحوظ، كون العراق كان يعيش في تخبطات عنصرية بين الشيعة والسنة، ونشوء حكم أستبدادي قد أباد المجتمع الشيعي، إلا كل هذا لم يمنع الشاعر من التصدي إلى موضوع العنصرية، والدعوى إلى الأبتعاد عن هذه القضية التي تهدم المجتمع فيقول:

الخـــوفُ أن يُـــبنى فريـــقٌ مُســـلِم ... بحُطـــامِ آخـــرَ، مِثلـــهُ، يتبـــدَّدُ!

والخـــوفُ مـــن لقيـــا عَـــدوِّكَ شـــاهِرا ... لأخيـــكَ صـــارمَ حِقـــدِهِ فتمجِّـــدُ!

والخـــوفُ أنَّ (العنصـــريّة) هَوَّمـــتْ ... زَمنـــاً.. فأيقظهـــا الـــدمُ المُســـتورد[٢٩]

بعد ما بحثنا في ديوان الشاعر مصطفى جمال الدين تبين لنا أنّ القضايا السوسيولوجية المجتمعية منتشرة في ديوانة بشكل وافر، وهذا قد ينعكس على القدرة الأدبية لدى الشاعر، بحث تمكن أخذ مجموعة من القضايا التي تهتم بالمجتمع، ونجد أيضا أنّ الشاعر كان ناقداً مميزاً، وقد أثر في شعره على القضايا الاجتماعية التي كان يعاني منها المجتمع العربي، وبالأخص المجتمع العراقي، فنجد قد تحدث عن التعليم والعلم، والجهل، وقد أنتقد الحوزة العلمية الدينية في النجف الأشرف، ونادى بالتجديد الديني في الحوزة، وهذا الشيء ليس من الممكنات في تلك الفترة، كون الحوزة العلمية من الأشياء المقدسة لدى المجتمع، وليس الإكتفاء بالقول في شعره بل سعى من خلال التدريس في كلية الفقه على هذا التجديد، وقد ذم شعر المال الذي يقوم به الشعراء، كونه لم يسع إلى العطاء في شعره، هذا ما لم نجده في ديوانه من مدح لملك أو رئيس أو سياسي، بل كان يذمهم في بعض الأحيان، ولما تقدم نجد أنّ الشاعر قد أبدع وأجاد في شعره في القضايا السوسيولوجية المجتمعية.

٥ ـ الثأر في الشعر مصطفى جمال الدين:

لاشك أنّ العصبية القبلية تلعب دوراً هاما في تجذير ظاهرة الثأر في المجتمعات القبلية، فالمناطق التي تقوى فيها العصبية القبلية وترتفع أهمية الانتماء القبلي فيها فإنّ نسبة الثأر تكون أكثر ارتفاعا. فكثُر بين العرب القتل والجرح والأسر في الحروب والغارات التي عاشوها وجعلوها جزءا من حياتهم. لم يخل ديوان مصطفى جمال الدين من الصور الإجتماعية التي ما زالت موجودة لدى العرب إلى يومنا هذا، ومن هذه القضايا هي قضية الثأر، وقد شارك الشاعر قصيدة عن الثأر في مهرجان العربي التاسع المنعقد في بغداد في قاعة الخلد في ٢٣ من نيسان سنة ١٩٦٩، وفيها:

للـــم جراحـــك واعصـــف ايهـــا الثـــار ... مابعـــد عـــار حزيـــران لنـــا عـــار

وخـــل عنـــك هـــدير الحـــق في إذن ... ماعـــاد فيهـــا ســـوى النابـــال هـــدار

وخـــض لهيـــب وغـــى لابـــد جاحمهـــا ... يومـــا فـــأن بريـــق الســـلم غـــرار

ويـــا اخـــا الثـــأر لايقعـــدك ان يـــدا ... وراء جرحـــك تـــدري كيـــف تمتـــار
تـــذوب فيـــه حنانـــا وهـــي واغـــره ... وتمســـح التـــرب عنـــه وهـــي اوضـــار
اذا تجهـــم وجـــه الحـــرب وانقلبـــت ... علـــى الضـــفاف معـــاييرواقـــدار
دعتـــك للســـلم كـــي تبقـــى صـــنيعتها ... في كفـــه النصـــر معقـــودا لهـــا الغـــار
ومـــادرت ان نـــار الثـــأر يوقظهـــا ... ســـلم يقـــود خطـــى المغلـــوب خـــوار
ويـــا اخـــا الثـــار لاتجـــزع لانهـــم ... قســـو عليـــك فـــان الثـــار اصـــرار
في كـــل يـــوم لنـــا حضـــن رابيـــة ... بيـــت علـــى امـــل الفـــادين ينـــهار
دعهـــم يعبـــون مـــن اوداج فتيتنـــا ... دمـــا تـــنز بـــه في المحنـــه الـــدار[٣٠]

يبدأ الشاعر في قصيدته حول العفو عن الثأر كونه لا يجدي نفعا بشيء، ويدعو الشاعر إلى المضي حول السلم في هذا المجتمع، فإنّ السلم يكون أحياناً انتصار إلى الفرد وليس الثأر هو الانتصار في كل مواضيع الحياة، كما يدعو في القصيدة أن يتحلّى صاحب الثأر بالصبر ولا يجزع بمثل هذه القضية القاسية، عسى أن يكون حفظ الدم هو استقرار للمجتمع وللعائلة.

الخاتمة:

بعد إكمال بحثنا بحمد الله والذي هو بعنوان (دراسة سوسيولوجية في شعر مصطفى جمال الدين)، توصلنا إلى مجموعة من النتائج أهمها:

١- تبيّن لنا معرفة مفهوم مصطلح (السوسيولوجية) عند علماء الغرب والشرق، كونه يمثل مصطلح حديث قد اتخذه العلماء من دراسة قضايا المجتمعات في الأدب وغيره من مجالات العلوم كعلم النفس وعلم الإجتماع.

٢- تطرّق الشاعر إلى قضايا اجتماعية مهمة كالتجديد في الحوزة العلمية و رسالة الشعر والأموال والمرأة والحب وأثر العلم والتعليم في المجتمع والطائفية والعنصرية، وهذه القضايا الإجتماعية هي بمثابة السوسيولوجية الإجتماعية لدى الشاعر بشكل واضح وصريح.

٣- لكل ماتقدم يتبين لنا إن الشاعر مصطفى جمال الدين قد تناول السوسيولوجية في شعره بشكل واسع، والسبب في ذلك إن الشاعر قد تعايش مع هذه الظروف والقضايا تعايشاً مباشراً مما اتسم تعبيره المؤثر والحقيقي في أشعاره.

هوامش البحث

(١) احسان، احسان محمد و عدنان سليمان الأحمد، المدخل إلى علم الإجتماع، ص١٧.
(٢) عبد المعطي، عبد الباسط، اتجاهات نظرية في علم الإجتماع، ص١٤.
(٣) معتوق،جمال، علم الإجتماع في الجزائر من المنشأ إلى يومنا هذا، ص١٧.
(٤) غيدنز، انتوني، علم الإجتماع، ترجمة: فايز الصباغ، ص٤٧.
(٥) معتوق، جمال، المرجع السابق، ص٥.
(٦) الجوهري، محمد، وزملاءه، ص٧.
(٧) جمال الدين، مصطفى، الديوان، ص٣١.
(٨) الشيخ محمد رضا آل ياسين: ولد في الكاظمية سنة ١٢٩٧ وتوفي سنة ١٣٧٠ في الكوفة ودفن في النجف الأشرف. آل ياسين أسرة عريقة في العلم والفضل، نبغ منها رجال كانوا نقطة التحول في تاريخ العلم والعلماء وأشهر من نبغ فيها جد المترجم له الشيخ محمد حسن آل ياسين، فقد ولي الزعامة الدينية وتوارث العلم عن أجداد أفذاذ، هم: والده الشيخ ياسين بن الشيخ محمد على بن الشيخ محمد رضا بن الشيخ محسن الكاظمي، وهؤلاء كانوا قادة البلد وزعماء الدين في الكاظمية. الأمين،حسن(ت: ١٣٩٩هـ)، مستدركات أعيان الشيعة، ج٧، ص٢٤٥.
(٩) جمال الدين، مصطفى، الديوان، ص٣١.
(١٠) شوقي، احمد، الشوقيات، ص٢٠٣
(١١) جمال الدين، مصطفى، المرجع السابق، ص٣٢.
(١٢) المصدر نفسه، ص٣٣.
(١٣) المصدر نفسه، ص٣٤.
(١٤) المصدر نفسه، ص٣٦.
(١٥) المصدر نفسه، ص٣٦.
(١٦) هشام بن عبد الملك: ابن مروان الخليفة، أبو الوليد القرشي الأموي الدمشقي. ولد بعد السبعين، واستخلف بعهد معقود له من أخيه يزيد، ثم من بعده لولد يزيد، وهو الوليد. وكانت داره عند باب الخواصين، واليوم بعضها هي المدرسة والتربة النورية. استخلف في شعبان سنة خمس ومئة إلى أن مات في ربيع الآخر، وله أربع وخمسون سنة. وأمه فاطمة بنت الأمير هشام بن إسماعيل بن هشام أخي خالد

ابني الوليد بن المغيرة المخزومي. وكان جميلا أبيض مسمنا أحول، خضب بالسواد. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٥، ص٣٥١.

(١٧) الفرزدق: همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس، الشهير بالفرزدق: شاعر، من النبلاء، من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللغة، كان يقال: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس. يشبه بزهير بن أبي سلمى. وكلاهما من شعراء الطبقة الأولى، زهير في الجاهليين، والفرزدق في الاسلاميين. الزركلي، خير الدين (ت: ١٤١٠هـ)، الأعلام، ج٨، ص٩٣.

(١٨) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٣٠٦-٣٠٨.

(١٩) جمال الدين، مصطفى، الديوان، ص٧٤.

(٢٠) المصدر نفسه، ص٧١.

(٢١) المصدر نفسه، ص٧٤.

(٢٢) المصدر نفسه، ص٧٤.

(٢٣) جمال الدين، مصطفى، الديوان، المرجع السابق، ص٢٨٧.

(٢٤) المصدر نفسه، ص٣٦٨.

(٢٥) المصدر نفسه، ص٤٧٤.

(٢٦) المصدر نفسه، ٤٧٥.

(٢٧) الجوهري، حسن، بحوث في الفقه المعاصر، ج٦، ص٢١٢.

(٢٨) العبسي،عنترة بن شداد، ديوان،، ص٤٣.

(٢٩) جمال الدين، مصطفى، المرجع السابق، ص٢٣٩.

(٣٠) جمال الدين، مصطفى، مرجع سابق، ص١٧١-١٧٤.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم.

١- ابن شهر آشوب، مشير الدين أبي عبد الله محمد بن على بن شهرآشوب ابن أبي نصر بن أبي حبيشي السروي المازندراني (ت: ٥٨٨هـ)، مناقب آل أبي طالب، تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٥٦م.

٢- احسان، احسان محمد و عدنان سليمان الأحمد، المدخل إلى علم الإجتماع، ط٢، مطبعة وائل، ٢٠٠٩.

٣- الأمين، محسن (ت: ١٣٧١هـ)، أعيان الشيعة، تحقيق وتخريج: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.

٤- جمال الدين، مصطفى، الديوان، ط١، دار المؤرخ العربي، بيروت، ١٩٩٥م،.

٥- الجوهري، حسن، بحوث في الفقه المعاصر، ط١، دار الذخائر، بيروت.

٦- الجوهري، محمد، وزملاءه، موسوعة علم الإجتماع، مركز القومي للترجمة، بيروت، ٢٠١٠م.

٧- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي(ت:٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، إشراف وتخريج: شعيب الأرنؤوط، تحقيق: حسين الأسد، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.

٨- الزركلي، خير الدين (ت: ١٤١٠هـ)، الأعلام، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م.

٩- شوقي، احمد، الشوقيات، تدقيق: محمد فورزي حمزة، ط٢، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٢م.

١٠- عبد المعطي، عبد الباسط، اتجاهات نظرية في علم الإجتماع، علم المعرفة، الكويت، العدد٤٤، ١٩٨١م.

١١- العبسي،عنترة بن شداد (ت:٢٢ق.هـ)، ديوان،، تحقيق: محمد سعيد، المكتب الإسلامي، القاهرة،٢٠٠٩م.

١٢- غيدنز، انتوني، علم الإجتماع، ترجمة: فايز الصباغ، مركز دراسات الوحدة العربية، المكتبة الاسكندرية، مصر.

١٣- معتوق،جمال، علم الإجتماع في الجزائر من المنشأ إلى يومنا هذا، ٢٠٠٦م.